

القواسم المشتركة والمختلفة بين رسالة الغفران للمعري ورسالة

الخلود لمحمد إقبال

The common and different denominators between al-Ma'arri's Risālah al-Ghufrān and Muhammad Iqbāl's Risālah al-Khulūd

☆ محمد إقبال

☆☆ الدكتور فيض الله البغدادي

ABSTRACT

In the personalities of Abu al-'Ala' al-Ma'arri and Muhammad Iqbal, where many ideological and literary similarities are found. Both of them artfully excelled on the basis of their superior imagination. And then they preserved it word by word for the generations in the form of a book. Abu al-'Ala' al-Ma'arri preserved his thoughts in a treatise Resalat Al-Ghufran (The Epistle of Forgiveness) in a prose style while Muhammad Iqbal hoarded his words in a poetic fashion in his Javid Nama (Book of Eternity). In this article, where I have introduced both these masterpieces (magnum opuses), I have also indicated few common points and variant aspects, so that both the books can easily be compared by the reader, and as a result he can draw benefits from the respective compilations.

Keywords: Abu al-'Ala' al-Ma'arri, Muhammad Iqbal, similarities.

إنّ فكرة رحلة الروح الخياليّة، والسير إلى الأفلاك، تعدّ فكرة قديمة قدم الحضارة الإنسانية، ومشاركة بين الشعوب والأمم في التاريخ الإنسانيّ. ونجد فكرة الرحلة هذه في الأدب الفارسيّ، كما في سير العباد لسنائيّ، ومنطق الطير للعطار، ومصباح الأرواح للكرمانيّ، وسبعة الأودية لبهاء الله وأخيرًا جاويد نامه أو «رسالة الخلود» لشاعر الشرق مُحمد إقبال. وفي الأدب العربيّ كان «المعراج النبويّ» أوّل نصّ دينيّ يحكي قصّة رحلة النبي محمّد

☆ الباحث بمرحلة الدكتوراة بجامعة المنهاج، لاهور

☆☆ الأستاذ المساعد، بالقسم العربي، جامعة المنهاج، لاهور

ﷺ إلى العالم الغلوي والغيبّي، وجاء بعده معراج أبي يزيد البسطاميّ، ورسالة حي بن يقظان لابن طفيل، ورسالة الغفران، لأبي العلاء المعرّيّ.

والمعراج النبويّ له جانبان، أحدهما: جانب دينيّ، والآخر: جانب أدبيّ. ومن المعلوم أنّ الجانب الذي يعيننا هنا هو الجانب الأدبيّ، ولا نتطرق إلى جانبه الدّينيّ. فمن النّاحية الأدبيّة له نرى أنّ الأدباء والشّعراء والصوفيّة استمدّوا عبر التاريخ فكرة المعراج من آية الإسراء وقصّة المعراج النبويّ، وكتبوا في ضوئها كتبًا، ودوّنوا دواوين، ونهجوا فيها منهج المعراج، وأرسلوا أنفسهم أو أصدقاءهم إلى المعراج على سبيل الخيال، وسخّلوا خيالهم في صور أدبية شعريّة ونثرًا. وأتّهم جعلوا هذه الكتب وتلك الدّواوين سبيلًا لإظهار مقدرتهم اللغوية والأدبيّة، وإبراز معرفتهم بالتاريخ، ووسيلة للتعبير عن فلسفتهم الدّينيّة، فمن أشهرهم: أبو العلاء المعرّيّ أبرز الشعراء العرب، والشاعر الإيطاليّ الشهير «دانتي الغيري» وشاعر شبه القارة الهندية والباكستانية مُحَمَّد إقبال.

وقد بيّن الدكتور طه حسين تفكير كلا الشاعرين - أعني المعرّيّ وإقبال - في معجزة الإسراء قائلا:

”والغريب أنّ الرّجلين اشتراكا في هذا التّفكير المتّصل بالملأ الأعلى. وكلاهما فكّر في هذه المعجزة التي جاءت في القرآن، وهي معجزة الإسراء، فكّر هذا كلاهما، وحاول كلاهما أن يسري كما أسري بالنبيّ ﷺ“،⁽¹⁾

لقد فكّر أبو العلاء في الحنّة وفكّر في النّار واشتهى على أن يسبح في الحنّة والنّار، وأن يكون متفرّجًا، وأن يتحدّث إلى النّاس عن الحنّة والنّار، وعمّا يكون في الحنّة والنّار، فألّف «رسالة الغفران» وصاحبنا الذي نذكره اليوم مكبّرّين له مُحلّين أبي هو أيضًا إلا أن يعرج في السّماء كما عرج مُحَمَّد ﷺ. ولكن كلا الرّجلين عرجا إلى السّماء في خيالهما. والعلامة إقبال يشاهد السّماوات ويتّخذ له من هذه الزّيارة دليلا من المُتصوِّفة هو جلال الدّين الرّوميّ فيلاحظ ويشاهد القمر، ويزور المريخ، ويزور كواكب أخرى كثيرة.⁽²⁾

ثمّ يستنتج الدكتور طه حسين من هذه الرّحلة الخياليّة ملامح شخصيّة كُُلّ من المعريّ ومحمد إقبال، كما يذكر وجوه التّباين والاختلاف بين كلا الشاعرين عندما يقول:

(1) طه حسين، (٢٠١٢م)، تجديد ذكرى أبي العلاء، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، القاهرة. ص: ٢٣٦-٢٣٨

(2) أظهر، ظهور أحمد، (الدكتور)، (دون السنة)، إقبال العرب على دراسات إقبال، المكتبة العلمية، باكستان. ص: ٣٧-٣٨

”مهما يكن من شيء فقد طوّف إقبال في السّماوات كما طوّف فيها أبو العلاء. لكن النتيجة لهاتين الزّيارتين مُتناقضة عند الرّجلين أعظم التّناقض. فأما أبو العلاء فعاد من زيارته للحنان والنّار ساحرًا منكراً يوشك أن يخرج عن الدّين. وأمّا إقبال فعاد من زيارته مؤمناً متّعظاً معتبراً، يريد أن يملأ الدّنيا موعظة وعبرة بعد هذه الزّيارة إلى هذه السّماوات“،^(٣)

وفي الصفحات التالية سَنُوضّح التّعريف برسالة الغفران للمعرّي أولاً، والتّعريف برسالة الخلود لمحمّد إقبال ثانياً. كما نذكر باختصار محتويات كلّ رسالة منهما. ثم نقوم في النّهاية بالمقارنة بين كلا الرّسالتين، وتوضيح القواسم المشتركة والمختلقة التي توجد بين رسالة كل واحد منهما.

التّعريف برسالة الغفران

لقد عدّ كثير من الأدباء رسالة الغفران لأبي العلاء من أعظم كتب التّراث العربيّ التّقدي، الكتاب الذي أحدث ضجّة كبرى في الأوساط الأدبية، وعلّق عليه كثيرٌ من العلماء والأدباء تعليقاتٍ شتّى، كما قاموا بحلّ غوامضها وتوضيح مشكلاتها، ويقال:

”إنّ كتاب ”الكوميديا الإلهية“ لدانتي -الكاتب الإيطالي المعروف- مأخوذة من رسالة الغفران، وهي من أهمّ وأجمل مؤلّفات المعرّي، وقد كتبها ردّاً على رسالة أحد معاصريه في حلب، يدعى عليّ بن منصور الحلبيّ، والذي يُعرف بابن القارح“،^(٤)

وهي رسالة ذات طابع روائيّ حيث جعل المعرّي من ابن القارح بطلاً لرحلة خياليّة أدبيّة عجيبة يحاور فيها الأدباء والشّعراء واللّغويين في العالم العلويّ، وقد بدأها المعرّي بمقدمة وصف فيها رسالة ابن القارح وأثرها الطيّب في نفسه فهي كلمة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء، ثم استرسل بخياله الجامح إلى بلوغ ابن القارح للسّماء العليا بفضل كلماته الطيّبة التي رفعته إلى الجنّة فوصف حال ابن القارح هناك مزوّداً الوصف بآيات قرآنيّة وآيات شعريّة يصف بها نعيم الجنّة، وقد استقى تلك الأوصاف من القرآن الكريم مُستفيداً من معجزة الإسراء والمعراج، أمّا الأبيات الشعريّة فقد شرحها وعلّق عليها لغويّاً وعروضيّاً وبلاغيّاً.

(٣) طه حسين، (الدكتور)، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص: ٢٣٦ - ٢٣٨

(٤) المرجع نفسه.

ويتنقل ابن القارح في الجنة ويلتقي ويحاور عددًا من الشعراء في الجنة من مشاهير الأدب العربيّ، منهم من غفر الله لهم بسبب أبيات قالوها كزهير. وشعراء الجنة منهم: زهير بن أبي سلمى والأعشى وعبيد بن الأبرص، وليبد بن أبي ربيعة، وحستان بن ثابت، والتابعه الذبياني، والتابعه الجعديّ. ثم يوضّح قصّة دخوله للجنة مع رضوان خازن الجنة ويواصل مسامراته الأدبيّة مع من يلتقي بهم من شعراء وأدباء، ثم يعود للجنة مجددًا ليلتقي عددًا من الشعراء يتحلّقون حول مآذبة في الجنة، وينعمون بخيرات الجنة من طيور وحوار عين ونعيم مقيم. ثم يمرّ وهو في طريقه إلى النار بمدائن العفاريّ، فيحاور شعراء الجنّ مثل «أبو هدرش»، ويلتقي حيوانات الجنة ويحاورها ويحاور الحطيئة. ثم يلتقي الشعراء من أهل النار، ومنهم: امرؤ القيس، وعنترة بن شدّاد، وبشار بن برد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد، والمهلهل، والمرقش الأكبر، والمرقش الأصغر، والشنفرى، وتأبّط شرًّا وغيرهم. ثم يعود من جديد للجنة ونعيمها.

إلى جانب ذلك كان المعريّ مسرّفًا إسرافًا متجاوزًا في العمية اللغويّة، والحري في مضمار الغريب كأنه يكتب لخاصته كما يظن طه حسين^(٥)، وأنه لم يشأ أن يُطلع الناس، وعامتهم على آرائه الخاصة، ومنازع فكره العجيبة، لكن هذا الغريب النادر أظهر لنا أبا العلاء واسع الاطلاع إلى حدّ لم نألفه عند سواه على الغريب. والجدير بالذكر بأنه جاء بالألفاظ الجديدة التي كانت مواتًا، ومستوفيًا قواعد اللّغة، والشاذّ فيها، متصرّفًا بالاشتقاق.

تحتوي رسالة الغفران على العلوم الكثيرة مثل الشعر، ورواية الشعر، والتاريخ، والأماكن، والقرآن وتفسيره، والحديث ومختلف شؤونه، واللّغة وكلّ ما يتعلّق بها. وجاء أبو العلاء المعريّ ينبش، ويكشف، أو يصحّح أو يفضح.

التّعريف بجاويد نامه (رسالة الخلود)

إنّ منظومة «جاويد نامه» من أروع أعمال إقبال بالفارسيّة، يمزج فيها التّصوّف بالفلسفة والتّاريخ. وفيها يقوم جلال الدّين الرّومي بدور المرشد والدليل، ويقود إقبالًا ممثلاً في «زنده رود أي التّهر الخالد»، ويعرج به في عدّة سموات، ثم يشرف بالقرب الإلهي، ويصبح على صلة بالأنوار الإلهيّة. وفي خلال زيارته إلى فلك القمر، ووادي الطّواسين، وسموات الأفلاك: عطارذ والرّهرة والمريخ والمشتري وزحل، وتلك الأماكن فيما وراء الأفلاك، يلقي بعدد من الشّخصيّات المرموقة من الفلاسفة والصّوفيّة والشّعراء

(٥) طه حسين، (الدكتور)، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص: ٢١٨

والملوك والساسة القدامى والمعاصرين، ويتحدّث إليهم في العديد من المشاكل المعقّدة التي يواجهها العالم. ويتّخذ من ذلك سبيلا لتقدم التوجيهات والإرشادات التي تحلّ هذه المشاكل أو تساعد على حلّها. وفي نهاية المثنوي يخاطب ابنه جاويد، رمزًا للشباب عامّة، ويقدم من النصّح إلى «الجيل الجديد» ما يناسب تطلّعاته وحاجاته ودوافعه. (٢)

يُعتبر هذا الديوان التحفة الأدبيّة لمحمد إقبال، وهو عبارة عن شعرٍ «مثنوي» للفلسفة الدنيويّة، ويحتوي على نحو ألفي مقطع شعريّ مزدوج، طبع عام ١٩٣٢م، وأنّه يبرز قوَى الشّاعر الفكريّة وذراها الرّفيعة، وفيه تورية إلى جاويد ابن الشّاعر، ويشتمل هذا الديوان على ثمانية أقسام، وفيها يحكي الشّاعر قصّة سفر في الأفلاك كقصّة دانتي الشّاعر الإيطالي، تبدأ القصّة بمقدمة فيها مناقاة، وفصول أخرى، إلى أن تظهر روح جلال الدّين الرّوميّ، فيشرح أسرار المعراج، وهو دليل الشّاعر في هذه الرّحلة، ثم يأتي «زورابه» وهو روح الرّمان والمكان، فيحمل الشّاعر ودليله جلال الدّين الرّوميّ إلى العالم العلويّ.

وقد نظم إقبال هذه المنظومة الشّعريّة الرّائعة في ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين بيتًا من الشّعْر، وتعدّ من أروع أعماله، بل وتعدّ كوميديا إلهيّة شريفة، حيث استطاع إقبال من خلالها أن يعبر عن آرائه المختلفة المتعلّقة بالمجتمع الإسلاميّ الذي يعيش فيه.

وهذه المنظومة عبارة عن عمل متكامل مستقلّ يتناول قصّة معراج رُوحِيّ عبر الأفلاك يتناول من خلاله الشّاعر ماهيّة حقيقة الخلود للنفس البشريّة بإبداع رائع أكسبها الخلود مثل اسمها. وقد حظيت هذه المنظومة منذ أن نُشرت بالفارسيّة عام ١٩٣٢م بمكانة عالية على مستوى الشرق والغرب.

وقد تُرجم هذا المثنوي من الفارسيّة إلى الإنجليزيّة والإيطاليّة والألمانيّة والتركيّة كما تُرجم إلى الأردية والسندية والبشتوية والبنجابية. وقد تُرجم الكتاب إلى العربيّة للدكتور محمد السعيد جمال الدّين ضمن رسالته التي نال بها درجة الدّكتوراه من قسم اللّغات الشّرقية في كليّة الآداب في جامعة عين شمس، في سبتمبر ١٩٧٢م، ونشر التّرجمة في كتاب بعنوان «رسالة الخلود أو جاويد نامه» في القاهرة في ١٩٧٤م. وكذلك تُرجمه إلى العربيّة شعراً الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصريّ بعنوان «في السّماء»، ونشر في القاهرة، ١٩٧٣م.

وقد اهتمّ بشير أحمد دار بالقسم الأخير من «جاويد نامه» المعنون بـ«خطاب به جاويد» فترجمه إلى الإنجليزيّة، وطبعه في كراتشي في ١٩٧١م مع حواشي المترجم بعنوان (٤):

(٢) معوض، أحمد (الدكتور)، (دون السنة)، العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره. ص: ٢٦٤

(٤) المرجع نفسه، ص: ٢٦٢-٢٦٤

“Address to Javid (A word to the new generation)”

القواسم المشتركة بين الرسالتين

بعد تعريف بسيط لكلا الرسالتين نذكر الآن القواسم المشتركة بين الرسالتين. وهي كالآتي:

١. كلا الشعاعين فُكر في معجزة الإسراء والمعراج، ثم قام كل واحد منهما بسير الأفلاك والجنة وجهنم في خياله، وكتابة ما شاهده في هذه الرحلة.

٢. إن كتابي «رسالة الغفران» و«جاويد نامہ» يدلان على طول باع مصنفيهما في ميدان اللغة والأدب. وكلا الشعاعين اتخذ كتابه سبيلا إلى إظهار مقدرته العلمية والأدبية، واللغوية، وإبراز معرفته بالتأريخ، وإلى التعبير عن فلسفته الدينية والفكرية.

٣. كلا الشعاعين استشهد بالكلمات والجمل من القرآن والحديث خلال الكلام لتحسين الأسلوب وتجويده. وأمثلة هذا الاستشهاد كثيرة في الرسالتين. وعلى سبيل المثال نذكر مثالا واحداً من كل رسالة:
فيقول المعري عن ندمان الجنة: علماء اللغة:

”وقد اصطفى له ندامي من أدباء الفردوس: كأخي ثمالة، وأخي دوس، ويونس بن حبيب الضبي، وابن مسعدة الماحشي، فهم كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾“^(٨)

أما استشهاد المعري بالحديث فيقول:

”ليست في الأعين كذات أنواط، وذات أنواط، كما يعلم، شجرة كانوا يعظمونها في الجاهلية. وقد روي أنّ بعض الناس قال: «يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»“^(٩)، (١٠).

أما استشهاد إقبال بالقرآن فيقول:

”آية تسيّر اندر شان کيست؟ ايس سپر نیلگون حیران کيست؟“
”راز دان علمّ الأسما که بود مست آل ساقی وآں صہبا کہ بود“^(١١)

(٨) سورة الحجر، ١٥/٤٧-٤٨، والمعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمد الإسكندراني ود. إنعام فؤال، ص: ٦٠

(٩) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (دون السنة)، السنن، دار إحياء التراث، بيروت. ٤/٤٧٥، رقم: ٢١٨٠

(١٠) أنظر المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمد الإسكندراني ود. إنعام فؤال، ص: ٤١

”ففي شأنٍ مَنْ نزلت آياتُ التَّسْخِيرِ؟ ومن أجلِّ مَنْ يتَحَيَّرُ هذا الفلكُ الأزرقُ. من كان عالماً بَسْرَ: علِّم الأسماء؟ من كان ثَملاً بِذاك السَّاقِي وتلك الكأس؟“

فآية التسخير إشارة إلى الآية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾^(١٢) وأما استشهاده بالحديث فيقول:

”گر تو خواهی من نباشم در میان لی مع الله باز خواں از عین جان“^(١٣)

«لو أردت أن تزيلني من طريقك، فقل بلسان الروح: «لي مع الله.»»^(١٣)

”ف«لي مع الله» إشارة إلى الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه النبي a: «لي مع الله وقت»،^(١٥)

٤. كلاهما دخل الجنة وطاف بها. فرواية الغفران تبدأ بالفصل الأول الذي عنوانه «في الجنة» فيذكر المعري

في هذا الفصل بأسلوبه البديع مناظر الجنة من الأنهار، وأوان فيها، وندمان الجنة، ونزهة في الجنة، وكذلك طواف ابن القارح على مختلف الشعراء من الأعشى، وزهير، وعبيد، وأبي ذؤيب الهذلي، والتابعين أي نابغة بني جعدة،

ونابغة بني ذبيان، وأعشى قيس وغيرهم، ويحضر في مجلس غناء.^(١٦)

وكذلك يذكر إقبال الجنة في رسالته ويقوم بزيارته في عدة أبيات منها:

”در زبانِ خود چسان گویم که چیست ای جهان نور و حضور و زندگی ست!“^(١٧)

”بلساني هل أصيب وصفها يا لها نور الحياة يا لها!“^(١٨)

(١١) إقبال، جاويد نامه، ص: ٨

(١٢) سورة الحاثية، ١٣/٤٥

(١٣) إقبال، جاويد نامه، ص: ٢٦

(١٤) إقبال، رسالة الخلود، ترجمة وشرح وتعليق الدكتور محمد السعيد جمال الدين، ص: ٨٥

(١٥) آلوسي، أبو الفضل شهاب الدين، (دون السنة)، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ٧٣/٢

(١٦) أنظر المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمد الإسكندراني ود. إنعام فؤال، ص: ١٧٣

(١٧) إقبال، جاويد نامه، ص: ١٣٤

(١٨) المصري، حسين مجيب، (الدكتور)، في السماء، ص: ٢٤٠-٢٤١

۵. كلاهما اتَّخَذَ نخبَةً من الأشخاص الذين لقيهم هناك من المشاهير، من الذين عاصروه أو سبقوا عصره، وحادثهم فيما يهّمهم من الشؤون. وأمثلة هذا كثيرة في الرسائل، لا يسعنا مجال ذكرها كلها هنا.

۶. كلاهما لاقى الشعراء الذين سبقوه وتكلّم عن شعرهم. وأمثلة هذا أيضًا كثيرة في الرسائل، ولكن لقاء المعريّ بهم أكثر بكثير من لقاء إقبال بهم.

۷. كلاهما التقى بإبليس خلال هذا السفر. فيذكر المعريّ في الفصل الخامس من الرسالة أنّ ابن القارح يرى إبليس ويتكلّم معه. وهو يقول:

”فِيَطَّلِعُ فِيرِي إبليس، لعنه الله، وهو يضطرب في الإغلال والسلاسل، ومقامع الحديد تأخذ من أيدي الزبانية. فيقول: الحمد لله الذي أمكن يا عدوّ الله وعدوّ أوليائه! لقد أهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها إلا الله.“ (١٩)

وأما إقبال فيقول بهذا الصّدّد:

”گفت رومی خواجه اهل فراق! آں سراپا سوز و آں خونیں ایاق!“ (٢٠)

”قال مولانا أرى شيخ الفراق يتلظى والتّجيع في الدّهاق“ (٢١)

والمراد بخواجه أهل الفراق المذكور في البيت أعلاه هو الشيطان إبليس اللعين.

۸. كلاهما لقي الحور العين في الجنّة. فمثلا يقول المعريّ بهذا الصّدّد:

[[ويخلو، لا أخلاه الله من الإحسان، بحوريتين له من الحور العين، فإذا بمره ما يراه من الجمال...]] (٢٢)

ويقول إقبال بهذا الصّدّد:

”با دل پُر خون رسیدم بر درش يك هجوم حور ديدم بر درش!“ (٢٣)

”دامی القلب إليه قد وصلت وعلى أعتابه حورًا رأيت“ (٢٣)

(١٩) أنظر المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمّد الإسكندرانيّ ود. إنعام فوّال، ص: ١٧٣

(٢٠) إقبال، جاويد نامہ، ص: ١٣٤

(٢١) المصريّ، حسين مجيب، (الدّكتور)، في السّماء، ص: ٢٠٩

(٢٢) أنظر المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمّد الإسكندرانيّ ود. إنعام فوّال، ص: ١٥١

(٢٣) إقبال، جاويد نامہ، ص: ١٨٦

۹. كلا الكاتبين يفيض بالرجاء ويلقن الأمل، فنرى أن المعري يلتقي بكثير من الشعراء العصاة الذين يراهم الجمهور من أهل النار، في الجنة، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يتوب عليهم بسبب عمل أو بتوبة في آخر حياتهم. ونفس الشيء نجده عند إقبال في منظومته، فيقول إقبال: إنَّ الإنسان بسعيه الصَّحيح يستطيع أن يتغلَّب على كلِّ المشاكل والمتاعب، وأن يصبح مسيطراً على الزَّمان والمكان، وأن يحصل على المقام الذي هو ذروة الشرف للبشر، وهو تشرفه بالكلام مع ربه.

۱۰. يجد القارئ في «رسالة الغفران» أسلوب كلِّ بطل مظهرًا لشخصيته، فعلى سبيل المثال: يقول المعري في رسالة الغفران: «فيقول (إبليس): بئس الصَّناعة! إنَّها تمب غفَّة من العيش لا يتَّسع بها العيال، وإنَّها لمزلة القدم، وكم أهلكت مثلك! فهنيئًا لك إذ نجوت، فأولى لك ثمَّ أولى! وإنَّ لي إليك لحاجة، فإن قضيتها شكرتك يد المنون. فيقول (ابن القارح): «إني لا أقدر لك على نفع، فإنَّ الآية سبقت في أهل النَّار، أعني قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَزَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾» (٢٥)

فيقول:

”إني لا أسألك في شيء من ذلك، ولكن أسألك عن خبر تخبرني به: إنَّ الخمر حرمت عليكم في الدنيا، وأحلَّت لكم في الآخرة، فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدين فعل أهل القريات“.

فيقول:

”عليك البهلة! أما شغلك ما أنت فيه؟ أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا أَنْزِلُوا مُطَهَّرَةً وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾» (٢٦)

ونفس الشيء نجده في رسالة الخلود لإقبال فعلى سبيل المثال: أسلوب إبليس المتأجج يدل على ثورة ذهنه. (٢٤) وهكذا كل كلمة من كلمات المبلغة «قرة العين الطاهرة» دالة على علو همتها وجودة قريحتها، وإخلاصها ومثابرتها وحبها وحماستها التي تزخر لرسالتها التبليغية.

(٢٣) المصري، حسين مجيب، (الدكتور)، في السَّماء، ص: ٢٨٩

(٢٥) سورة الأعراف، ٥٠/٧

(٢٦) سورة البقرة، ٢٥/٢، وانظر المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمد الإسكندراني ود. إنعام قوال، ص: ١٧٤

القواسم المختلفة بين الرسالتين

بعد بيان القواسم المشتركة بين الرسالتين نبين الآن القواسم المختلفة بينهما وهي كالآتي:

١. اتخذ المعريّ نثرًا ذريعة لرسالته وللإخبار عن رحلته الخياليّة إلا أنّه أيضًا جاء بالشعر الكثير في كثير من المواضيع من رسالته، وقلّما تجد صفحة من صفحات رسالة الغفران لا تكون فيها الأبيات الشعريّة. بينما اتخذ إقبال الشعر وسيلة لرسالته وللإخبار عن معراجه الخيالي، ولذا جاءت رسالته بشكل النظم، ولم يذكر من النثر أيّ شيء في رسالته.

٢. إنّ رحلة إقبال الفكرية أقرب إلى المعراج النبويّ بكثير من رحلة المعريّ، لأنّ إقبالًا في رحلته الخياليّة حاول أن يتبع أسوة المعراج النبويّ -على صاحبه أفضل الصلوات والتّسلميات- فإنّه يسير في الكواكب السبعة كما سار النبيّ ﷺ في السموات السبع، وفيها يلتقي بمختلف الأشخاص كما التقى النبيّ ﷺ في عروجه مع الأنبياء الكرام، وتعرّفه روح الرّوميّ بالناس كما عزّف جبريل النبيّ ﷺ بساكني السموات، وفي نهاية المعراج تركه روح الرّوميّ كما يترك جبريل النبيّ ﷺ ليتشرّف بزيارة الله، ويقدم إقبال للحيل الجديد الفلسفة التي يجيء بها من وراء الأفلاك أتباعًا لرسالة النبيّ ﷺ بينما لا تزيد جولة المعريّ الخياليّة على سير الجنّة والجحيم.

٣. إنّ نصب عينيّ أبي العلاء في رسالة الغفران هو الحياة بعد الموت ومسائلها، بينما لم يتعرّض لها إقبال، بل ركّز نظره وفكره وقوّه شعره على هذه الحياة الدنيوية ومشاكلها، وعلى بثّ روح العمل في المسلمين، وخلق الثقة والاعتزاز بشخصيّتهم، والإيمان برسالتهم، والطمّوح إلى الحرّيّة والقوّه والسيادة، فلا يهتمّ الدّخول في الجنّة أم الجحيم، بل أهمّ شيء عنده أن يملأ هذه الحياة الدنيوية بالهناء الحقيقيّ وأن يبلغ أمة الرّسول ﷺ رسالة الحياة والقوّه.

٤. إنّ المعريّ لم يكن هو نفسه بطل رحلته، وإمّا أرسل صديقه ابن القارح لزيارة الجنّة والنار وأصحابهما، بينما تشرّف إقبال هو نفسه بهذا المعراج الخياليّ.

٥. إنّ ابن القارح ذهب وحيدًا ولم يقتد بأحد من القوّاد الخبراء، فواجه مشاكل عديدة في بداية سفره، مثل ما واجهه في موقف الحشر من المشاكل الكثيرة، ودخوله في الجنّة. بينما اتخذ إقبال لنفسه في هذه الزيارة دليلًا، وهو جلال الدّين الرّوميّ، فلم يواجه أيّة مشكلة في معراجه، فأراد إقبال هنا أن يحنّثنا على اتّخاذ قدوة مرشد فيما نجهل

من أمور حياتنا، وديننا، ودينانا، بينما يفتقد هذا الأمر عند المعريّ. وهنا نجد في كلام إقبال إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ:

”ما خاب من استشار ولا ندم من استخار ولا عال من اقتصد“^(٢٨).

٦. تناول أبو العلاء المعريّ الحشر وأهوال القيامة والصراط خلال معرجه بينما لم يتطرق إقبال لذكر شيء منها.
٧. أدخل أبو العلاء المعريّ في النار كُلِّ مَنْ كان كافراً في رأيه واعتقاده، وبين حاله فيها، بينما لا يجد قارئ إقبال ذكر النار في «جاويد نامه»، بل يرى المجرمين والظالمين من الناس في بحر الدّم في فلك الرّحل.

٨. بدأ سير ابن القارح عند المعريّ من ميدان الحشر^(٢٩) ولكن إقبالاً بدأه من تلّ على وجه الأرض.^(٣٠)

٩. عندما أدرك المعريّ أنّ الحياة متاع الغرور، كره هذا المتاع ونفض منه يده ونقرّ الناس منه، فبقي منطويّاً على نفسه في بيته ينقرّ من الحياة الاجتماعيّة، ويدعو الناس إلى تركها والابتعاد عنها، أمّا إقبال فلا يكره هذا المتاع ولا ينفض منه يده كما لا ينفّر الناس منه، بل يأتي من السّماء برسالة جديدة تحثّ الناس على العمل وتوقظهم من نومهم العميق، وتحثّهم على الاعتراف من هذه الدّنيا، وما فيها بالتي هي أحسن.

١٠. تناول المعريّ الأشخاص ممّن لقيه في الجنّة أو النار واتخذ منهم موضوعاً لبيانه، كقوله: «وينظر الشيخ (ابن القارح) في رياض الجنّة فيرى قصرين منيفين، فيقول في نفسه:

”لأبلغن هذين القصرين فأسأل: لمن هما؟ فإذا قرّب إليهما، رأى على أحدهما مكتوباً:

«هذا القصر لزهير بن أبي سلمى المزنيّ»، وعلى الآخر: «هذا القصر لعبيد بن الأبرص

الأسدي» فيعجب من ذلك ويقول: هذان ماتا في الجاهليّة، ولكنّ رحمة ربّنا وسعت كلّ

شيء، وسوف أتمس لقاء هذين الرّجلين، فأسألهما: بم غفر لهما؟...»^(٣١)

ولكنّ إقبالاً لم يتناول هذا الموضوع بل تناول القضايا المعاصرة العالميّة وجعلها موضوع شعره.

(٢٨) الطّبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (١٥٤١٥هـ)، المعجم الأوسط، القاهرة: دار الحرمين، ٦/٣٦٥، رقم: ٦٦٢٧

(٢٩) المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمّد الإسكندرانيّ ود. إنعام فوّال، ص: ١٢٢

(٣٠) راجع للنصّ الفارسيّ: محمّد إقبال، جاويد نامه، ص: ١٨-١٩

(٣١) المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: د. محمّد الإسكندرانيّ ود. إنعام فوّال، ص: ٧١

۱۱. يستعير المعرّي أبيات الشعراء الآخرين حتى لا يملّ ولا يسأم القارئ من طول المقال والأسلوب الموحد. وأمثلة هذا كثيرة جداً في رسالة الغفران، ولكن إقبالاً لم يستعر أبيات الشعراء الآخرين في رسالته بل أشار في موضعين إلى مصرعين، أحدهما بيت قاله عنتر بن شدّاد، والثاني بيت قاله الرومي. وهما:

”اے ترا اندر دو چشم ما وثاق مہلتے إن كنت أزمعت الفراق“^(۳۲)

”تسکنان بین جفیننا الحداقا مهلة إن كنت أزمعت الفراق“^(۳۳)

فأشار بـ«إن كنت قد أزمعت الفراق» إلى مصرع بيت قاله عنتر بن شدّاد.

وكذلك قوله:

”بأنسیم آواره بودم در نشاط بشنو از نے، می سرودم در نشاط“^(۳۴)

”في «نشاط» سرت في ركب النسيم وتلوت شعر «مولانا» العظیم“^(۳۵)

فأشار بـ«بشنو از نے» إلى مصرع بيت قاله الرومي في منظومته الشهيرة. وهو: «بشنو از نے چوں حکایت می

کند».

۱۲. إنّ ابن القارح لا يقابل في الجنّة إلا بعض الشعراء والأدباء ولكن إقبالاً بنحده يمرّ في جولته الخياليّة بمنازل كثيرة يلتقي فيها بشخصيات مرموقة من الماضي من أصحاب الدّيانات، والفلاسفة، وقادة الفكر، والصّوفيّة، والشعراء، والملوك، والساسة القدامى والمعاصرين، مثل «غوثم بده» و«زرتشت» و«برتری هري» و«وشواتر» وغيرهم. إنّهم وإن كانوا قواد الدّيانات الأخرى ولكنهم عظماء من الناحية الإنسانيّة في رأيه، فقدّم أفكارهم وآراءهم التي تتماشى مع أفكاره، وهنا تلمع سعة فكر إقبال وعدم انخيازه.

۱۳. إنّ أبا العلاء المعرّي لم يقدّم فلسفة الحياة أو رسالة الحياة الخالدة خلال تناول هذا الموضوع، بينما بلغ إقبال إلى الناس رسالة الحياة الخالدة، وذلك أنّ الإنسان لو أدرك حقيقته فلا قيمة لهذه الأشياء الماديّة أمامه، بل تصبح هذه الأفلاك واللّوح والقلم تحت سيطرته.

(۳۲) إقبال، جاويد نامه، ص: ۵۶

(۳۳) المصري، حسين مجيب، (الدكتور)، في السماء، ص: ۸۸

(۳۴) إقبال، جاويد نامه، ص: ۱۶۱

(۳۵) المصري، حسين مجيب، (الدكتور)، في السماء، ص: ۲۴۹

١٤. يقوم ابن القارح بزيارة الجنة والنار، ثم يرجع، بينما لا ينتهي إقبال إلى هذا الحد، بل يعرج مزيداً حتى تتركه روح مرشده.

١٥. إن إقبالاً في نهاية معراجه يتشرف بقرب الحضرة الإلهية ويشكو بثه، بينما ابن القارح لا يعرج إلى الحضرة الإلهية، ولا يتشرف بقرعها. ويظهر من هنا فرق كبير بين مكانة ابن القارح وبين مكانة «زنده رود». فالأول نجده باذلاً جهوده المصنوية للدخول في الجنة، وهو يقول بعد دخوله في الجنة: «وكان مقامي في الموقف مدة ستة أشهر من شهور العاجلة، فلذلك بقي عليّ حفظي ما نرفته ولا نحهك تدقيق الحساب»^(٣٦) بينما إقبال فنراه متشرفاً بتقرب الحضرة الإلهية.^(٣٧)

١٦. إن ابن القارح رجل عاديّ انتهازيّ فلذا نجده أحياناً يريد أن يخدم سدنة الجنة بما كان يخدم به الناس في الدنيا من الشعر، فينشئ القصائد الطوال في مدح رضوان. وأحياناً يمدح عليّاً وفاطمة - رضي الله عنهما - بينما تطلب الملائكة والخور من «إقبال» إنشاد شيء من شعره فتقول حوراء عندما يريد إقبال أن يغادر الجنة إلى العلى: «شيوه ها داری مثال روزگار یک نوائے خوش دروغ از مامدار»^(٣٨)

«إنّ لديك خصالاً متنوّعة كتنوّع الزمان فلا تبخل علينا بأنشودة خلّابة».

١٧. يقوم ابن القارح بزيارة نبيّين من الأنبياء عليهما السلام بينما لا يزور إقبال أحداً منهم.

١٨. يزور ابن القارح بعض أصحاب النبيّ ﷺ وأهل بيته، مثل حمزة عمّه، وعليّ صهره، وفاطمة بنته، وإبراهيم ابنه، وخديجة بنت خويلد زوجته، وحسّان بن ثابت شاعره رضي الله عنه بينما لم يزر إقبال أحداً منهم.

١٩. واجه ابن القارح مصائب كثيرة، وبذل جهوداً لدخوله الجنة بينما دخل إقبال الجنة مباشرة دون مواجهة هذه المصائب.

٢٠. من المعروف أنّ الجنة لا يدخلها إلا الجنّ والإنس، وأنّ المخلوقات الأخرى تحاسب وتغنى، ولكنّ المعريّ ابتكر هذه الفكرة العجيبة بأنّ المخلوقات الأخرى مثل الأسد والحيات مستحقّة بالجنة وتدخلها بأعمالها الحسنة، فإنّه يرى الأسد والحيات في الجنة. مثلاً يقول: «ثم يضرب سائراً في الفردوس، فإذا هو بروضة مؤنقة، وإذا هو

(٣٦) أنظر المعريّ، أبو العلاء، رسالة العفران، تحقيق د. محمد الإسكندرانيّ ود. إنعام فول، ص: ١٢٢ وما بعدها

(٣٧) أنظر إقبال، جاويد نامه، ص: ١٨٨ وما بعدها

(٣٨) إقبال، جاويد نامه، ص: ١٨٧

بِحیّات یلعبن ویتماقلن، فیقول «ابن القارح»: لا إله إلا الله! وما تصنع حیة فی الجنة؟...»^(۳۹) ولم نجد مثل هذه الظاهرة فی منظومة إقبال: جاوید نامہ.

۲۱. كان المعريّ أوّل من فكّر بإرسال البشر العادین فی الرّحلة الخیالیة إلى العلی، ولسنا نبالغ إذا قلنا: إنّ التّوافذ الكبيرة التي فُتحت على الأدب العربيّ كان المعريّ من أهمّ فاتحيها. وأنّ معراجه مهّد فيما بعد لظهور كثير من المعراجات على غرارها في العالم الإسلاميّ والغربيّ على حد سواء.

۲۲. يجد ابن القارح في رحلته هذه نفرًا من الجنّ ويحدث واحدًا منهم، فيقول المعريّ: «فيركب «أي ابن القارح» بعض دوابّ الجنة ويسير، فإذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة، ولا عليها النور الشعشعائيّ، وهي ذات أدحال وغماليل. فيقول لبعض الملائكة: «ما هذه يا عبد الله؟» فيقول: «هذه جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمّد، ﷺ، وذكروا في الأحقاف، وفي سورة الجنّ، وهم عدد كثير»^(۴۰).

بينما لا يهّم إقبالًا إلا الإنس وصلاحهم، فلا يتوجّه إلى الجنّ ولا إلى المخلوقات الأخرى غير الإنسان.

۲۳. لم يلتق ابن القارح خلال زيارته الجنة والتّار بالملائكة إلا خازن الجنة، بينما تكلم إقبال معهم وسمع أناشيدهم وأسمعهم شعره.^(۴۱)

۲۴. إنّ المحرّك لكتابة رسالة الغفران هو الرّدّ على رسالة صديق فقط، بينما قصد إقبال بني نوع الإنس وفلاحهم وإيقاظ المسلمين وإشعال قلوبهم إيمانًا وحماسة وطموحًا إلى حياة الشّرف والاستقلال والسّيادة والحكم، ومن أجلهم كتب هذه الرّسالة.

۲۵. كان إقبال قد قرأ كتاب «رسالة الغفران» وكتب المعريّ الأخرى قبل كتابة «جاوید نامہ»، وكانت أفكارها وموضوعاتها في ذهنه وقت كتابة «جاوید نامہ». وهذا ما يظهر من تلك المنظومة التي أوردتها في كتابه «بال جبريل» أي «جناح جبريل» تحت عنوان: «أبو العلاء المعريّ»^(۴۲)

بينما لا نجد عن المعريّ بأنّه قرأ كتابًا مثل رسالة الغفران قبل كتابة هذه الرّسالة.

(۳۹) المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق د. محمّد الإسكندراني ود. إنعام فوّال، ص: ۱۲۲-۱۲۷

(۴۰) المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق د. محمّد الإسكندراني ود. إنعام فوّال، ص: ۱۲۲-۱۵۶

(۴۱) أنظر إقبال، جاوید نامہ، ص: ۱۸۸-۱۹۶

(۴۲) إقبال، (دون السنة)، كليات إقبال أردو، ديوان بال جبريل، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور. ط: ۳، ص: ۱۵۶-۱۵۷

۲۶. نجد المعريّ في رسالة الغفران باذلا عنايته على مناظر الجنة والنار، ومما لا شكّ فيه أنّ تصوير هذه المناظر خلّاب وجذاب ومؤثّر جدًّا، ولكنّ إقبالاً لا يلفت نظر قارئه إلى هذه المناظر، بل إلى حقائق الحياة وأسرارها في صورة حكيمة حيث تظهر أبياته الشعريّة كأثما درر منظومة.

۲۷. وجه المعريّ إلى مخاطبيه الأسئلة المتعلقة بهم وبشعرهم ومغفرتهم، وأمثلة هذا كثيرة في الرسالة بشكل المكالمات بين ابن القارح وبين الشعراء وغيرهم ممّن لقيهم في الجنة والنار، بينما يتحدّث إقبال إليهم في العديد من المشاكل المعقّدة التي يواجهها العالم، ويتخذ من ذلك سبيلاً لتقديم التوجيهات والإرشادات التي تحلّ هذه المشاكل أو تعين على حلّها.

۲۸. كان الكتاب في عصر المعريّ يحاولون أن يستخدموا المحسنات البديعيّة والزينة اللفظيّة. والأسلوب الشائع في تلك الفترة كان يميل إلى الزخرفة والزينة. فكان همّ المعريّ، خلال كتابته أن يتصدّد اللفظة الرثانة كما يتصدّد العواص من أعماق اليمّ اللؤلؤ والمرجان على أنّ غرابة بعض ألفاظها تحول بين قارئه وبين دخول فردوسه الأديبيّ البهيج^(۳۳) كقولته:

”وما اعتصر بصرخد أو أرض شبام، لكلّ ملك غير عمام؛ وما تردّد ذكره من كميت بابل
وصريفين واتخذ للأشراف المنيفين؛ وما عمل من أجناس المسكرات، مفوقات للشارب
وموكرات، كالجعة؛ والبتع، والمزر، والستكركة ذات الوزر؛ وما ولد من النخيل، لكرتم يعترف
أو بخيل؛ وما صنع في أيّام آدم وشيث، إلى يوم المبعث من معجل أو مكيث؛ إذ كانت
تلك النطفة ملكة، لا تصلح أن تكون برعاياها مشتبكة“،^(۳۴)

بينما جاءت رسالة «جاويد نامه» محكمة الألفاظ حتّى لا إحكام بعده، مفعمة بالمعاني المفهومة في كلّ بيت حتّى لقد يتناول الحقبة بما جرى فيها من عظيم الحوادث مجموعة في كلمات.

۲۹. طاف كلاهما في السماوات ولكن النتيجة لهاتين الزيارتين متناقضة عند الرّجلين أعظم التناقض، فأما أبو العلاء المعريّ فعاد من زيارته للحنان والنار - حسب رأي الدكتور طه حسين - ساحراً منكرًا يوشك أن يخرج

(۳۳) كيلاني، كامل، (۱۹۴۴م)، على هامش الغفران، مكتبة المعارف، الرياض. ص: ۶.

(۳۴) المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق د. محمد الإسكندراني ود. إنعام فوّال، ص: ۴۹-۵۰.

على الدّين. وأما إقبال فعاد من زيارته مؤمناً متّعظاً معتبراً يريد أن يملأ الدّنيا موعظة وعبرة بعد هذه الزّيارة إلى هذه السّموات. (٣٥)

٣٠. نجد غلبة المواد الأسطوريّة في رسالة الغفران، بينما لا نجدها عند إقبال إلا قليلاً.

٣١. لم يعط أبو العلاء المعريّ رسالة جادة لبني آدم، بينما أعطى إقبال رسالة جامعة وجادة للشّباب يستطيع كلّ شابٍّ أيّاً كان وإلى أيّ مذهب ينتمي أن يجعلها لائحة حياته. (٣٦)

٣٢. لم يتعرّض أبو العلاء المعريّ للحياة وقضاياها إلا قليلاً، إنّه اقتصر على مغفرة النّاس وعدم مغفرتهم بينما يصرف إقبال عنايته إلى المسائل المتعلّقة بالحياة مثل: ما الحياة؟ ما العشق؟ ما العلاقة بين العشق والعقل؟ ما الدّين؟ ما الحقّ؟ ما القدر؟ وما إلى ذلك.

٣٣. يجد قارئ المعريّ أصحاب الجنّة يتخاصمون ويتشاجرون رغم أن كتاب الله يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (٣٧) فإنّ المعريّ يصف المشاجرة التي تقع بين التّابغة الجعدي وبين الأعشى في الجنّة وهي تمثّل شجاراً عنيقاً بين شخصيتين من أكبر شخصيات العرب إذ يقول الأعشى للجعدي:

”وإنّ بيتاً ممّا بنيتُ ليعدل بمائة من بنائك! وإن أسهبْتُ في منطقتك فإنّ المسهب كحاطب اللّيل وإنيّ لفي الجرثومة من ربيعة الفرس وهل جعدة إلا رائدة ظليم نفور! أتعبيني مدح الملوك يا جاهل على ذلك، لهجرت إليه أهلك وولدتك؟ ولكنك خلقت جباناً هداناً، لا تدلج في الظلماء الدّاجية، ولا تمجر في الوديقة الصّاحدة...“

فيجيبه الجعدي- مغضباً:

”أسكت، يا ضلّ بن ضلّ، فأقسم إنّ دخولك الجنّة من المنكرات، ولكنّ الأفضية جرت كما شاء الله، لحقّك أن تكون في الدّرك الأسفل من النّار! ولقد صلّيت بها من هو خير منك! ولو جاز الغلط على ربّ العزّة، لقلت إنّك قد غلّط بك... ويثب نابغة بني جعدة على أبي بصير، فيضربه بكوز من ذهب“، (٣٨)

(٣٥) أظهر، ظهور أحمد (الدكتور)، إقبال العرب على دراسات إقبال، ص: ٣٧-٣٨

(٣٦) جشقي، سليم يوسف (الأستاذ)، شرح جاويد نامه، ص: ٨٣

(٣٧) سورة الأعراف، ٤٣/٧

(٣٨) المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق د. محمّد الإسكندراويّ ود. إنعام فوّال، ص: ١٠٧-١٠٨

٣٤. إنَّ المعريَّ ابتكر فكرة بأنَّ الآثم الذي يواظب على ارتكاب إثم خاصّ في الدنّيا كمُدمن الخمر، يدخل الجنّة ولكن يجرم منها في الجنّة، فهذا الأعشى الشّاعر الجاهلي الذي يلقاه ابن القارح في الجنّة يخبره كيفيّة دخوله بها: "قد كنت أومن بالله والحساب، وأصدق بالبعث وأنا في الجاهليّة الجاهلاء... فذهب عليّ" إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، هذا أعشى قيس، قد رُوي مدحه فيك وشهد أنّك نبيّ مرسل. فقال: هلا جاء في الدار السّابقة؟ فقال عليّ ﷺ: قد جاء ولكن صدّته قريش وحبّه للخمر. فشفع لي، فأدخلت الجنّة على أن لا أشرب فيها خمراً فقرّرت عيناى بذلك، وإنّ لي منادح في العسل وماء الحيوان. وكذلك من لم يتب من الخمر في الدنّيا لم يسقها في الآخرة،^(٣٩)

٣٥. إنّ رسالة إقبال تحمل في طياتها غاية جادّة وهدفاً سامياً وغرضاً نبيلاً، ألا وهو إصلاح البشر وإيقاظ الأئمة المسلمة من سباتها العميق بينما لا يريد مصنّف رسالة الغفران من كتابتها إلا السّخريّة، وحسبنا أن نقرأ خلاصة القصّة الطويلة التي ساقها أبو العلاء بشأن دخول ابن القارح في الجنّة.

قام هذا الرّجل من قبره يوم القيامة فلبث في الموقف مدّة طويلة، حتّى أعياه الحرّ والظّمأ، وهو واثق بدخول الجنّة لأنّ معه صك التّوبة، فلم يفهم معنى الانتظار ففكّر في أن يحدّع سدنة الجنّة بما كان يحدّع به النّاس في الدنّيا من الشّعْر، فأنشد القصائد الطّوال في مدح رضوان وأنشده إيّاها فلم يفهم منه شيئاً، لأنّه لا يتكلّم بالعربيّة، فلمّا يئس منه ابن القارح سأله: ما بالك لم تحفل بقصائدي وقد كان يحفل بها ملوك الدنّيا؟... فلمّا صار إلى باب الجنّة بعد جهد عنيف قال له رضوان: هل معك من جواز؟ فقال: لا، فقال: لا سبيل للدّخول إلا به فعي بالأمر، وعلى باب الجنّة من داخل شجرة صفصاف فقال: أعطني ورقة من هذه الصّفصافة، حتّى أرجع إلى الموقف فأخذ عليها جوازاً، فقال: لا أخرج شيئاً من الجنّة إلا بإذن من العليّ الأعلى (تقدّس وتبارك). فلمّا ضجر بالنّازلة قال: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٥٠). لو أنّ للأمير أبي المرحى خازناً مثلك، ما وصلت أنا ولا غيري إلى درهم من خزانته. فهذه الصّور التي تمثّلها هذه القصّة الصّغيرة تبيّن مقدار ما تشتمل عليه رسالة الغفران من السّخريّة الخفيّة وأمثالها كثيرة.^(٥١)

(٣٩) المعريّ، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق د. محمّد الإسكندرانيّ ود. إنعام فوّال، ص: ٧٠-٧١

(٥٠) سورة البقرة، ١٥٦/٢

(٥١) طه حسين (الدّكتور)، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص: ٢٣٦-٢٣٨

هذه هي القواسم المشتركة والقواسم المختلفة بين الرسائل بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ورسالة الخلود للعلامة محمد إقبال. ولاحظنا أن القواسم المختلفة بينهما أكثر من القواسم المشتركة بينهما. ولكننا لا نستطيع أن نفضّل رسالة على أخرى بل لكلّ واحدة منهما أهميّة وميزات خاصّة بها.



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. آلوسي، أبو الفضل شهاب الدين، (دون السنة)، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٣. أظهر، ظهور أحمد (الدكتور)، إقبال العرب على دراسات إقبال، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان.
٤. إقبال، (دون السنة)، رسالة الخلود، ترجمة وشرح وتعليق الدكتور محمد السعيد جمال الدين.
٥. إقبال، (دون سنة الطبع)، كليات إقبال أردو، ديوان بال جبريل، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور، باكستان
٦. الترمذيّ، أبو عيسى محمد بن عيسى السلميّ، (دون سنة الطبع). السنن، دار إحياء التراث، بيروت.
٧. جبر، رجاء عبد المنعم، (١٩٩١م). رحلة الروح بين ابن سينا وسنائي ودانتي، مكتبة الشّباب، القاهرة
٨. حشقي، سليم يوسف، (دون السنة)، شرح جاويد نامه.
٩. الرّيات، أحمد حسن، (١٩٩٣م)، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان
١٠. الطّبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (١٤١٥هـ). المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة.
١١. طه حسين، (الدكتور)، (٢٠١٢م)، تجديد ذكرى أبي العلاء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
١٢. كيلاني، كامل، (١٩٤٤م)، على هامش الغفران، مكتبة المعارف، الرياض
١٣. المعريّ، أبو العلاء، (دون السنة)، رسالة الغفران، تحقيق د. محمد الإسكندرانيّ ود. إنعام فوّال.
١٤. معوض، أحمد (الدكتور)، (دون سنة الطبع). العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره.
١٥. مكّي، الطّاهر أحمد (الدكتور)، (١٩٩٣م). امرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة.
١٦. ايليا حاوي، (١٩٧٠م). التّابغة سياسته وفنّه ونفسيته، بيروت